الجذور التاريخية لسلسلة النسب النبوي الشريف

د. خطاب إسماعيل احمد
جامعة زاخو / فاكولتي العلوم الانسانية - قسم التاريخ

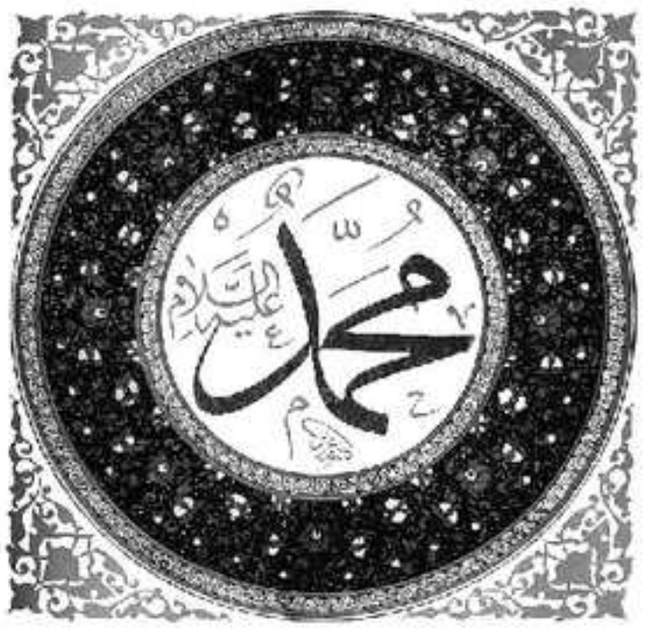

تتفق المصادر التاريخية بما لا يقبل الشك، على أن نسب النبي محمد (ﷺ)، يرجع إلى قبيلة قريش المكية، وقريش كما هو معروف، من اشهر قبائل العرب في الجزيرة العربية.

والعرب في اللغة يعني الصحاري والقفار، والأرض المجدبة، التي لا ماء فيها ولا نبات، وقد أطلق هذا اللفظ منذ أقدم العصور على جزيرة العرب، كما أطلق على قوم قطنوا تلك الأرض واتخذوها موطناً لهم، وهذا يظهر جلياً من دعاء إبراهيم (عليه السلام)، حين أمره ربه بأن يسكن زوجه وطفلها الرضيع في مكة، ذلك الوادي المجدب، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم على لسان نبي الله إبراهيم (عليه السلام) حين دعا ربه في قوله تعالى: { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} . (سورة إبراهيم، الآية: ٣٧). وقدمت لنا تلك المصادر سلسلة سند متصلة صحيحة تبدأ بمحمد (ﷺ) لتصل إلى عدنان الجد الـ (٢٠) للنبي (ﷺ).

وهو: » محمد، بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خُزيمة، بن مُدركة، بن إلياس، بن مُضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان«. لقد وردت هذه السلسلة في معظم كتب التاريخ، وكذلك كتب الحديث ومنها الصحاح لا سيما صحيح البخاري.

وما بعد عدنان وحتى تصل إلى إبراهيم (عليه السلام)، وفي بعض الروايات إلى آدم (عليه السلام)، فهي من الأمور المختلف على تفاصيلها كثيراً، وسبب ذلك يعود إلى بعدها عن عصر الرسالة.

لذا فإن نسب النبي (ﷺ)، ينقسم بصورة عامة إلى ثلاثة أجزاء، وهي:

- الجزء الأول: اتفق أهل السير والأنساب على صحته، وهو الجزء الذي ينتهي إلى عدنان.
- الجزء الثاني: اختلفوا فيه ما بين متوقف فيه وهو الأرجح، وقائل به، وهو ما يبدأ ما فوق عدنان إلى إبراهيم (عليه السلام).
- الجزء الثالث: لا شك ان فيه أمور غير صحيحة، وهو ما فوق إبراهيم إلى آدم (عليهما

السلام)..

وفيما يأتي سنكتفي ببيان حياة، بعض ما في الجزء الأول، من سلسة النسب النبوي الشريف، للشخصيات التي كانت لها دور أو تأثير في حياة الناس، من الناحية الدينية أو السياسية أو الاقتصادية او الاجتماعية أو الفكرية، وسنبدأ بالبحث عن حياة والده عبد اللّٰه بن عبد المطلب.

١.عبد اللّٰه:

لا تزودنا المصادر التاريخية، بالمعلومات الكافية والمفصلة، عن حياة عبد اللّٰه والد النبي ﴿ﷺ﴾، حيث تختلف المصادر حتى في بيان أنه كان أصغر أبناء عبد المطلب، فقد ذهب الطبري إلى التصريح بأنه كان من أصغر ولد أبيه، إلا أن ذلک غير صحيح، بدليل أن حمزة عم النبي ﴿ﷺ﴾ في النسب، كان أخوه في الرضاعة، حيث كانت ثويبة وهي مولاة لأبي لهب، قد ارضعت النبي ﴿ﷺ﴾، بلبن أبنها مسروح، وأرضعت معهما عمه حمزة بن عبد المطلب، فهذا يُظهر أن هؤلاء الثلاثة ـ أي النبي ﴿ﷺ﴾، وعمه حمزة، ومسروح بن ثويبة ـ كانوا أخوة في الرضاعة، وكانوا متقاربين في العمر، وبتعبير آخر أن حمزة كان أصغر من عبد اللّٰه والد النبي ﴿ﷺ﴾، إذ كيف يمكن أن يكون عبد اللّٰه أصغر من حمزة، وقد رضع حمزة مع ابنه محمد ﴿ﷺ﴾، اللهم إلا أن يكون المقصود أن عبد اللّٰه أصغر أبناء أمه، وقد كان أخواه الزبير وابو طالب أكبر منه في العمر.

وقد ذكر ابن قيم الجوزية، أن حمزة كان أخو النبي محمد ﴿ﷺ﴾، من حليب حليمة السعدية ايضاً، فعندما كان حمزة ﴿رضي الله عنه﴾، عم النبي ﴿ﷺ﴾ مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فاسترضع حمزة من حليب حليمة السعدية، لذا كان حمزة رضيع رسول اللّٰه ﴿ﷺ﴾، من جهتين، من جهة ثويبة، ومن جهة حليمة السعدية أيضاً..

لقد كان عبد المطلب متزوجاً أكثر من امرأة، لذلک فان جميع ابناءه لم يكونوا أخوة لعبد اللّٰه لأمه وأبيه، حيث كان كلاً من الزبير وعبد مناف، الذي اشتهر باسم ابي طالب من أم واحدة من أخوة عبد اللّٰه، وكانت أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، أما أخوات عبد اللّٰه لأمه وأبيه، فهن كلٌ من عاتكة وبرة وأميمة.

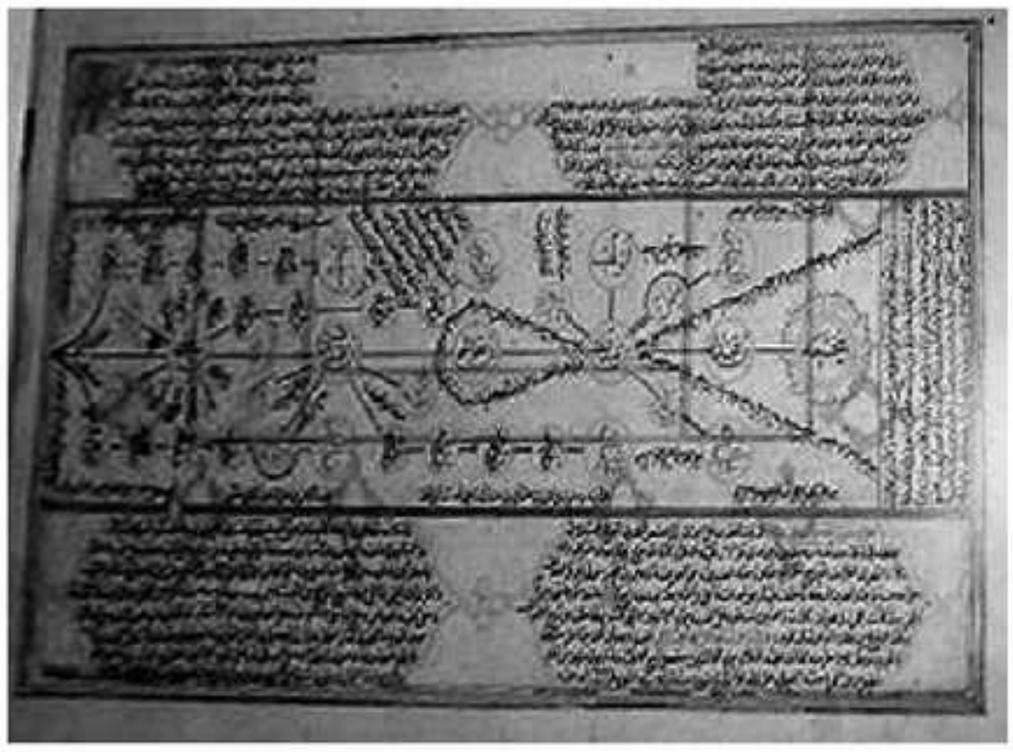

أشارت الروايات إلى أن عبداللّٰه كان من أجمل رجال قريش، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، وغير ذلک لا تسعفنا المصادر إلا بالقليل من المعلومات عن حياته في

صباه وشبابه، وكل ما وصل إلينا عنه، أخبار تتعلق بزواجه ووفاته.
وقد اشتهر عبد اللّٰه بالذبيح، حيث ذكرت الروايات أن عبد المطلب حين جاء به عمه المطلب من مدينة يثرب، وزوجه لم تكن حاله جيدة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية بين رجالات مكة، على اساس انه حديث عهد بها، وعندما حفر زمزم نازعته قريش في ذلك، عند ذلك نذر بأن يذبح أحد أبناءه ويقدمه قرباناً، إن اكتمل له من الأبناء عشرة، لذا لما تم أبناؤه عشرة، وعرف انهم يمنعونه اخبرهم بنذره فأطاعوه، فكتب اسمائهم في القداح، واعطاهم للكاهن القيم على صنم هبل، فضرب القداح فخرج القدح على عبد اللّٰه، فأخذه عبد المطلب، واخذ شفرة؛ ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش ولا سيما أخواله من بني مخزوم وأخوه أبو طالب، فقال عبد المطلب: فكيف أصنع بنذري فأشاروا عليه أن يأتي عرافة فيستأمرها، فأتاها، فأمرت أن يضرب القداح على عبد اللّٰه وعلى عشر من الإبل، فإن خرجت على عبد اللّٰه زاد عشراً من الإبل، حتى يرضي ربه، فإن خرجت على الإبل نحرها، فرجع وأقرع بين عبد اللّٰه وبين عشر من الإبل، فوقعت القرعة على عبد اللّٰه، فلم يزل يزيد من الإبل عشراً عشراً، ولا تقع القرعة إلا عليه، إلى أن بلغت الإبل مائة، فوقعت القرعة عليها، فنُحرت عنه.
لذا أصبحت الدية في قريش بعد هذه الحادثة، مائة من الإبل بعد أن كانت عشراً في العرب قبل ذلك، ولما جاء الإسلام أقر الدية مئة بعير، وروي عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال: "أنا ابن الذبيحين"، يعني أسماعيل ﴿عليه السلام﴾، حين أمر اللّٰه إبراهيم أن يذبحه، وأباه عبد اللّٰه سمي بالذبيح لهذه الحادثة.
زوج عبد المطلب ابنه عبد اللّٰه، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب، وكانت آمنة من أفضل نساء قريش نسباً وموضعاً، ولما دخل عليها عبد اللّٰه حملت بالرسول ﴿ﷺ﴾، ولم يلبث ان توفي عبد اللّٰه بعد الحمل بشهرين حسب أصح الروايات، ودفن بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار، إذ أنه كان قد ذهب إلى الشام في تجارة، فأدركته المنية بالمدينة وهو راجع، فلما رجع من الشام مروا بالمدينة، فكان عبد اللّٰه مريضاً، لذا فقد بقي عند اخواله بني عدي بن النجار، فأقام عندهم شهراً على ما ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى، ومضى اصحابه فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن عبد اللّٰه، فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار، وهو مريض، فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث، فلما جاء المدينة وجد عبد اللّٰه قد توفي ودفن في دار النابغة، وهو رجل من بني عدي بن النجار، وكان عمر عبد اللّٰه حين توفي على الأرجح خمساً وعشرين سنة.
لم يترك عبد اللّٰه بعد وفاته سوى خمسة جمال، وقطعة غنم، جارية تدعى أم أيمن واسمها بركة، وقد تولت حضانة الرسول ﴿ﷺ﴾، وقد زوجها الرسول ﴿ﷺ﴾، فيما بعد بزيد بن حارثة، وهي أم أسامة بن زيد، الصحابي الجليل...

٢.عبد المطلب:

هو الجد المباشر للنبي محمد ﴿ﷺ﴾، وأبرز الأحداث في عصره حملة أبرهة الحبشي على مكة لهدم الكعبة، الملاحظة المهمة أنه ليس هناك هاشمي على وجه الأرض إلا أن يكون مر

نسبه بعبد المطلب، لأنه ابنه الوحيد الذي ترک ذرية، حيث كان له عشرة ابناء وهم: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وابو لهب، والعباس، وحمزة، وابو طالب، وعبد اللّٰه، وكان اصغرهم حمزة، حسبما تم توضيحه مسبقاً.

لقد نشأ عبد المطلب في مدينة يثرب، وذلک لأن أمه سلمى بنت عمرو من بني النجار، كانت من أهل يثرب، وقد تزوجها هاشم عند أهلها؛ ثم سافر بتجارته إلى غزة، وهناک توفي ودفن، لذا اشتهرت غزة باسم غزة هاشم، نسبة إلى هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جد النبي محمد (ﷺ).

عندما بلغ عبد المطلب سن الشباب، قدم عمه المطلب بن عبد مناف إلى يثرب، لأخذه إلى مكة، وحين عارضت أمه ذلک، أقنعها بقوله: ابن اخي، قد بلغ وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت وشرف في قومنا، والمقام ببلده خير له من المقام ههنا، وهو ابنک حيث كان.

كان اسم عبد المطلب عامر، وسمي شيبة كذلک، لأنه ولد وفي رأسه شيبة، وعُرف باسم عبد المطلب بعد مجيئه إلى مكة، لأنه حين دخلها خلف عمه المطلب بن عبد مناف، ظن الناس أنه عبد اشتراه المطلب، ولم يعلموا بأنه ابن اخيه، فقالوا: هذا عبد المطلب، فلزمه الاسم وغلب على اسمه الحقيقي، وأشتهر به بين الناس.

كان منصبي السقاية، وهي وظيفة توفير الماء للناس في موسم الحج؛ والرفادة وهي وظيفة تقوم على توفير الطعام للناس في موسم الحج، بيد عبد المطلب فقد شغله بعد وفاة عمه المطلب الذي شغله بعد وفاة أخيه هاشم.

في البداية كان عبد المطلب يسقي الناس بواسطة حياض من الجلود، تملأ بالماء ويسقى بها الحجيج، ولما أعاد حفر زمزم بعد أن كانت قد ردمت من قِبل قبيلة جُرهم، فإنه كان يسقيهم من زمزم، حيث كان يحمل الماء من زمزم إلى عرفة لسقاية حجاج بيت اللّٰه الحرام.

يبدو ان السقاية والرفادة كانتا تدران دخلاً على من يتولى إدارتها، لذا فقد سعت بعض الأطراف في مكة، إلى مشاركة عبد المطلب في إدارة بئر زمزم.

وقد نسبت الروايات إلى عبد المطلب، على أنه أول من تحنث في الجاهلية، إذ كان يخرج من كل سنة شهراً إلى حراء يتعبد فيه، ويطعم المحتاجين ويسقيهم، وأصبحت تلک عبادة يؤديها بعض القرشيين، وقد أداها النبي محمد (ﷺ)، عندما خرج إلى حراء في السنة التي بعثه اللّٰه تعالى بها، وكان ذلک في شهر رمضان، بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة، وذلک في سنة ٦٠٩م على الأرجح.

٣.هاشم:

وهو الذي يرجع الفضل إليه وإلى أخوته الثلاث (عبد شمس، ونوفل، والمطلب) في عقد أحلاف تجارية مع ملوک الدول المجاورة، تلک الأحلاف التي سميت بـ (الإيلاف)، المشهورة برحلتي الشتاء والصيف، وهو ما جاء في سورة قريش من القرآن الكريم، في قوله تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ*}. (سورة قريش: ١-٤).

عُرفت أسرة النبي محمد (ﷺ)، بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جد والده هذا، هاشم بن عبد مناف.

هاشم هذا كما أسلفنا، هو الذي تولى السقاية والرفادة، من بني عبد مناف حين تصالح بنو عبد مناف وبنو عبد الدار، على اقتسام المناصب فيما بينهم، بعد حدوث نزاع بين الطرفين كاد أن يصل إلى الإقتتال.

وهاشم كان رجلا موسرا، ذا شرف كبير في قومه، وهو اول من اطعم الثريد للحجاج بمكة، وكان أسمه عمرو، سمي بهاشم لهشمه الخبز، وقد قال الشاعر في ذلک:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه — قوم بمكة مسنتين عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما — سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وفي البيت الثاني إشارة إلى رحلتي الشتاء والصيف، الذي يعود الفضل إلى هاشم وأخوته الثلاث كما أسلفنا سابقاً في عقدها، مع الدول التي تقع حدودها حول الجزيرة العربية عموماً، ومكة على وجه الخصوص، وهي كل من الإمبراطورية الساسانية، والإمبراطورية البيزنطية، وملک الحبشة، وملوک حمير في اليمن.

تمت الإشارة إلى زواجه من سلمى بنت عمرو النجارية اليثربية، وولادتها لعبد المطلب بن هاشم، التي اشار بعض الباحثين أنه ولد ـ اي عبد المطلب ـ في سنة ٤٩٧م، وكذلک كيفية وفاة هاشم، عندما خرج إلى مدينة غزة في فلسطين، ووفاته هناک...

٤.قصي:

كان اسمه زيد، سمي بقصي وذلک لأن أمه فاطمة بنت سعد، لما توفي عنها زوجها كلاب بن مرة تزوجت ربيعة بن حرام، وزيد فطيم أو قريب من ذلک فاحتملها إلى بلاد زوجها، من أرض عُذرة من أشراف الشام، فإنما احتملت ولدها زيداً دون زُهرة، لصغر زيد الذي شب في حجر ربيعة، فسمي زيد: قصياً لبعد داره عن دار قومه في مكة.

وهناک في بلاد الشام كبر قصي، وهو لا يعرف في نفسه أباً غير ربيعة القضاعي، فلما وقع بين قصي وبين آل ربيعة خصام، عيروه أنه في جوارهم وأنه ليس منهم، فشكا قصي ذلک إلى أمه، فقالت: يا بني إنک واللّٰه لأكرم منهم أباً، أنت ابن كلاب بن مُرة، وقومک بمكة عند البيت الحرام، عند ذلک ترک قصي بلاد الشام، وقدِم إلى مكة وأقام بها، وعُرف عنه من الجد، وحُسن الرأي ما جعله موضع احترم أهلها وأهله فيها.

إن الذي يميل إليه المؤرخون، هو أن تاريخ مكة يبدأ من أيام قصي بن كلاب بن مرة، الجد الرابع للنبي (ﷺ)، الذي تولى أمر مكة حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي، أي حوالي سنة (٤٤٠)م. أما قبل ذلک فان تاريخ مكة منذ عهد إسماعيل (عليه السلام)، وحتى القرن الخامس الميلادي، وهي مدة تمتد حوالي ألفين وأربعمائة سنة يلفها الغموض، فلم يصل إلينا عنها سوى شذرات متفرقة من روايات المؤرخين.

والمدة بعيدة بين المؤرخين وبين هذه العهود، بخلاف الأمر في حال قصي، وقبيلة قريش التي

استقرت في مكة، ونهضت بها وجعلت منها مدينة، ذات مركز ديني، وسياسي، واقتصادي، واجتماعي، كبير جداً لوجود الكعبة بيت اللّٰه الحرام والحج إليه. في حين أن المدة بين ظهور قصي حتى ظهور الإسلام، مدة ضئيلة إذا ما قيست بتاريخ مكة قبل ذلك، إذ لا تزيد على مائة وخمسين سنة، وهي مدة كانت حال قريش فيها متصلة في مكة، ولا يمكن أن تنسى فيها الأحداث، وبخاصة إذا قدرنا ما كانت للذاكرة العربية من قوة، وما لقيمة التمسك بالنسب ولحمة الدم من سلطان، مما يجعل الناس يحتفظون بذكر آبائهم، والأحداث التي ارتبطت بهم، وقد يعطون لذلك بعض المبالغة. على آية حال يمكن من مختلف الروايات تصوير الوضع تصويراً يقرب من الحقيقة.

ولكن مع كل هذا فان تاريخ مكة حتى في أيام قصي، وما بعدها إلى ظهور الإسلام، لا يخلو مع ذلك من غموض، ومن لبس، وتناقض شأنه في ذلك شأن أي تاريخ اعتمد على الروايات الشفوية، واستمد مادته من أقوال الناس ومن ذكرياتهم عن الماضي البعيد. لذلك نجد الرواة يناقضون أنفسهم تناقضاً بيناً في أمر واحد، ما كان في الإمكان الاختلاف فيه لو كانوا قد أخذوه من منبع قديم مكتوب.

لقد اختلفت الروايات، وتناقضت مع بعضها، في بيان كيفية تولي قصي أمر البيت، إلا أنه يبدو أن الأقرب للصواب، هي الرواية التي تؤكد أن قصي بن كلاب، تولى زعامة مكة بناءاً على وصية حُليل الخزاعي، الذي تزوج قصي من ابنته حُبى، التي ولدت له أربعة من الأولاد. فبعدما رأى حليل إنتشار ولد قصي من ابنته، جعل ولاية البيت فيهم، فدعا قصياً، وجعل له ولاية البيت، وسلم إليه المفتاح، وبعد وفاة حليل أبت خزاعة أن تدع لقصي ولاية البيت. خاصةً وأن قصياً ليس من قبيلتهم.

ذكرت المصادر أن قصياً تحرك في موسم الحج بقريش، وبني كنانة، وقضاعة، فلما تقدم صوفة لإجازة الناس بالحج، كما كان يفعل، أتاهم قصي بمن جمع معه، إلى العقبة التي جرت فيها معركة إنتهت لصالح قصي، فغلبهم على ما كان بأيديهم، فعند ذلك علمت خزاعة، وبنو بكر، الذين عارضوا ولاية قصي أمر البيت، أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وسيحول بينهم وبين أمر الكعبة، وذكر المؤرخون أن خزاعة، وبني بكر خرجوا لقتال قصي ومن معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً بالأبطح، حتى كثر القتلى بين الطرفين، فتداعوا إلى الصلح واللجوء إلى تحكيم بعض أشراف العرب.

ثم ذكرت الروايات أن قصياً بعد أن إستتب الأمر له بمكة، عمل على تجميع أبناء قبيلته من قريش، وأسكنهم في مكة، ليقوي حكمه ومركزه بالاستناد إليهم.

ولكي يعمل على تنظيم مكة قطعها رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، وذكر المؤرخون أن قريشاً هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده، فكان أول من فعل ذلك، فسمته قريش مجمعاً لما جمع من أمرها.

لذا يمكن القول بأن تاريخ مكة الحقيقي، يبدأ من عهد قصي بن كلاب الذي تزوج من ابنة زعيم خزاعة، واستطاع بعدها ان يتولى الرئاسة في مكة، ومن ابرز أعماله تأسيس بعض الوظائف لإدارة شؤون مكة، مثل وظيفة (دار الندوة، والرفادة، والسقاية، والحجابة، واللواء).. وقد

كان سيد مكة دون منازع، خاصة أنه من اسكن قريش بطن مكة، التي تذهب المصادر أنها كانت غير مسكونة، قبل ذلک.

٥. فهر:

فهر هو قريش حسب أرجح الأقوال وأغلبها، كانت قريش عند مجئ الإسلام، تتكون من عشرة إلى اثني عشر بطنا، وقد اطلق عليهم بعض الباحثين تسمية القبيلة خطأ، وهم: بنو عبد مناف؛ وبنو عبد الدار بن قصي؛ وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي؛ وبنو زُهرة بن كلاب؛ وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة؛ وبنو عدي بن كعب؛ وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب؛ وبنو عامر بن لؤي؛ وبنو تيم بن غالب؛ وبنو الحارث بن فِهر؛ وبنو مُحارب بن فِهر. وقد سمي المقيمون منهم بمكة بقريش البطاح، والذين بضواحيها قريش الظواهر.

لقد ذُكر ان فهر كان يسمى قريش، وكذلک ذهب البعض، إلى ان كلمة قريش ليس اسم شخص، بل هو إما اسم سمكة وهي القرش، أو صفة أطلقت على شخص ما، وقد اختلفت الروايات في بيان اسم ذلک الشخص، إلى أربعة آراء:

- الرأي الأول: أنه أُطلق على قريش بن يخلد...
- الرأي الثاني: النضر بن كنانة، وهو جد فهر بن مالک بن النضر...
- الرأي الثالث: فهر بن مالک بن النضر، الذي نحن بصدده...
- الرأي الرابع: يدعي فيه اصحابه بأنه أطلق على قصي بن كلاب...

إن أرجح الآراء، أن قريش هو فهر بن مالک، وقد ذهب إلى هذا الرأي أغلب الباحثين.

- قيل: أن بنو النضر بن كنانة وهم فهر وابنائه، سموا بقريش بعد ان اجتمعوا مع بعضهم، وذلک أن التجمع يعني التقرش.
- وقيل: إنما قيل قريش من اجل أنها تقرشت عن الغارات.
- وقيل: سميت قريش قريشاً بسمكة القرش في البحر، حيث كانوا تجاراً كباراً، فكانت تجارتهم تاكل تجارة التجار الصغار، كما أن سمكة القرش تاكل الأسماک الصغيرة في البحر، فسمي بنو النضر بذلک لأنهم كانوا من أكبر التجار آنذاک، هذا فضلاً عن أقوال أخرى قيلت في المسألة...

يلتقي نسب الرسول ﷺ عند (فهر) بجميع بطون قريش، لأن من كان من ولد فهر فهو قرشي. أي كل من ينتهي نسبه إلى فهر فهو قرشي، ومن يتجاوز نسبه فهر، فهو ليس بقرشي.

٦. كنانة:

هم أولاد عمومة قريش، وقد ساعدوا قصياً، على طرد قبيلة خزاعة من الحرم المكي، بعد أن نشب الصراع بين قريش في عهد قصي وخزاعة، وبمساعدة كنانة، وقبيلة قُضاعة الشامية، وهم قبيلة زوج أمه الثاني ربيعة بن حرام، استطاعت قريش، أن تستولي على مكة، وبدأ قصي جهوده باسكانهم في بطن مكة، وعلى اطرافها، لذا فقد اسكن قصي كنانة في أطراف بمكة، وربما بسبب جهودهم تلك في مساعدة قريش، وكذلک لأنهم من أبناء عمومة قريش،

فقد سمي سكان الضواحي بقريش الظواهر، بعد أن أسكنهم قصي خارج مكة، وعندما نشبت حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان من هوازن، فإن قريشاً إنحازت إلى جانب كنانة، ضد قيس عيلان، لذا فانهم أي كنانة كانوا من حلفاء قريش عند مجيء الإسلام.

وقد سميت تلك الحرب بحرب الفجار، لأنها وقعت في الشهر الحُرم، التي لا يجوز فيها القتال، وكان قائد قريش وكنانة، في تلك الحرب حرب بن أمية بن عبد شمس، وقد انتهت تلك المعركة بالصلح بين الطرفين.

وقد ذُكر ان الرسول ﴿ﷺ﴾ شارك في هذه الحرب إلى جانب أعمامه، وقد روي عنه انه قال: "كنت أنبل عاى اعمامي، أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها". وفي رواية أخرى انه ﴿ﷺ﴾ قال عن يوم حرب الفجار: "قد حضرته مع عمومتي، ورميت فيه باسهم، وما أحب أني لم أكن فعلت".

٧.مُضر:

مُضر يعني الأبيض، وهو اسم مشتق من اللبن الماضر، وهو الحامض، وقد نسبت الروايات التاريخية إلى مُضر، على أنه أول من سن حِداء الإبل، وكان ذلك فيما يزعمون أنه سقط عن بعير، فوثئت يده، وكان أحسن الناس صوتاً، فكان يمشي خلف الإبل، ويقول: وايدياه وايدياه، يترنم بذلك، فاعنقت الأبل، وذهب كلالها، فكام ذلك اصل الحداء عند العرب.

تتفرع عند مضر نسب قبيلة ربيعة المشهورة عن قبيلة مضر، التي حاولت ان تنافسها، لذلك فقد ادعى أحد أفرادها النبوة، وهو مسيلمة الكذاب من بني حنيفة، من أجل أن يتقاسم مع المضريين مجدهم حسب زعمه.

إذ أن نزار بن معد بن عدنان، كان قد ولد له من البنين ثلاث، هم (مضر، وربيعة، وأنمار)، لذا فقد كانت المنافسة شديدة بين ابناء ربيعة ومضر، الذي تحول في النهاية إلى صراع بينهما.

حيث كان لذلك الصراع بين أبناء مضر وربيعة، دور في ظهور حركة مسيلمة الكذاب، إذ يروى أن الناس في شرق الجزيرة العربية، كانوا يؤيدون مسيلمة الحنفي في ادعائه النبوة، لأنه من ربيعة، ويعادون النبي محمد ﷺ لأنه من مضر، وقد ذكرت المصادر عبارات تعبر عن هذا الصراع، ومن ذلك ما روي أن رجلاً من ربيعة يدعى طلحة النمري جاء اليمامة، بلاد مسيلمة، فسأل عنه قائلاً: "أين مسيلمة؟ قالوا: مه، رسول اللّٰه، فقال: لا حتى أراه، فلما جاءه، قال: أنت مسيلمة، قال: نعم، قال: من يأتيك، قال: رحمن، قال: أفي نور أو في ظلمة، فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر". فبقي الرجل إلى جانب مسيلمة إلى أن قتل معه يوم عقرباء، أحد أيام حروب الردة المشهورة.

لقد كانت حركة مسيلمة في بني حنيفة رد فعل ضد قريش، كما يتضح ذلك من كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول اللّٰه ﷺ والتي يقول فيها: "من مسيلمة رسول اللّٰه إلى محمد رسول اللّٰه، سلام عليك، أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك، وأن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون". اختزل مسيلمة في كتابه هذا الإسلام في قريش،

وكذلک أن قريشاً قوم يعتدون، مما يدل على أنه كان على علم برفض النبي ﷺ طلبه.
فكان رد النبي ﷺ على كتاب مسيلمة هذا، في رسالة نصها: "بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، من محمد رسول اللّٰه، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض للّٰه يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين". فمنذ ذلک اليوم اشتهر مسيلمة بلقب الكذاب، وكان ذلک في آخر سنة عشر من الهجرة.
ويروى أن مسيلمة الكذاب خاطب قومه يوماً، فقال: "يا بني حنيفة ما جعل اللّٰه قريشاً أحق بالنبوة منكم، وبلادكم أوسع من بلادهم، وسوادكم أكثر من سوادهم، وجبريل ينزل على صاحبكم مثلما ينزل على صاحبهم".
وفي تقرير هذا الصراع القبلي بين قبائل شرق الجزيرة (ربيعة)، وقبائل غربها (مضر) فقد شاعت بين رجال قريش، الذين أصبحوا أصحاب السلطة، مقولة ذات دلالة قوية على استمرار ذلک الصراع طيلة العصور التاريخية فيما بعد، فقد كانوا يقولون: "أن ربيعة لم تزل غاضبة على ربها، منذ بعث اللّٰه النبي من مُضر".

٨.عدنان:

يلتقي عند عدنان نسب جميع القبائل العربية الشمالية التي تدعى بالعدنانية، وما بعد عدنان هناک اختلاف كبير حوله، وقد ذكر ابن الكلبي عن ابن عباس أنه قال: كان الرسول اللّٰه ﴿ﷺ﴾ إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسک، ثم قال: كذب النسابون.
ذُكر أن اسم عدنان مأخوذ من عدن في المكان، إذا أقام فيه، ومنه جنات عدن، اي جنات إقامة وخلود.
إذا رجعنا إلى كتب الأنساب للبحث عن نسب النبي ﴿ﷺ﴾، فإن أقصى ما حفظه الرواة، من أجداد النبي ﴿ﷺ﴾ الذي ولد في عام (٥٦٩م)، إلى عدنان، الجد الـ (٢١) للنبي ﴿ﷺ﴾. وذكر ابن االكلبي أن رسول اللّٰه ﴿ﷺ﴾ قال: بين معد بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أباً..
أما تاريخ وجود عدنان، فعند ابن سعد إشارة إلى أنه كان موجوداً عندما غزا بختنصر حصون اليمن. فهذا يعني أن عدنان كان في عام (٥٦٠٦٢٥ق.م) على رأس شعب يعيش هناک في القرن السادس ق.م. وبهذا تكون المدة الزمنية بين وجود عدنان إلى ولادة النبي ﴿ﷺ﴾ أكثر من الف عام.
وإذا أردنا أن نحسب هذه المدة على حساب الأجيال، فإن عدد الأجيال من عدنان إلى النبي ﴿ﷺ﴾ كان (٢٢) جيلاً، فإذا حسبنا لكل جيل (٢٠) سنة، تكون المدة بين عدنان والنبي ﴿ﷺ﴾ (٤٤٠) سنة، أي أن عدنان كان يعيش في حوالي سنة (١٦٠م)، أي في القرن الثاني للميلاد.
وتاريخ وجود إسماعيل وإبراهيم (عليهما السلام) يعود إلى سنة (٢٠٠٠ق.م) تقريبا، حسبما كشفت التنقيبات الأثرية، فإن هذه المدة الطويلة من الزمن، الممتد ما يقارب (٢٤٠٠) سنة قبل الإسلام، بصورة عامة غامض غموضاً شديداً، وحتى المؤرخون العرب لا يعرفون كيف يملأون فراغ هذه القرون المتطاولة. وعلى هذا فإن هناک قريباً من (١٩٠٠) م عام بين عدنان وإسماعيل ﴿عليه السلام﴾، فإذا أخذنا بحساب الأجيال لهذا الفراغ، وذلک بحساب (٢٠) سنة لكل

جيل، يكون عدد الأجيال من عدنان إلى إسماعيل ﴿عليه السلام﴾ أكثر من (٩٠) جيلاً، أي أربعة أضعاف ونصف بالنسبة لما بين النبي ﴿ﷺ﴾ وعدنان من الأجيال.

•الجزء الثاني من سلسلة النسب النبوي، الذي يبدأ من عدنان وينتهي بإسماعيل وإبراهيم (عليهما السلام)، يضم من ٣٠-٣٥ جيلاً باختلاف المرويات الأخبارية التاريخية عنها، وبعدنان تنتهي نظرية تقسيم الأنساب العربية، إلى البائدة، والعاربة، والمستعربة. وهذا الجزء من سلسلة النسب هو مختلف على صحتها.

فيما يأتي تقسيمات المؤرخين، لأصول العرب إلى ثلاثة أقسام، بحسب السلالات التي انحدروا منها، وهي بطبيعة الحال، ليست إلا نظريات قابلة للتغيير:

١. العرب البائدة: وهي قبائل عاد، وثمود، والعمالقة، وطسْم، وجَديس، وأميم، وجُرهم، وحضرموت، ومن يتصل بهم، وقد اضمحلوا من الوجود، لذا عُرفوا بالعرب البائدة، ويمكن الاستدلال على هذا بقوله تعالى في سورة الحاقة، في وصف حال عاد وثمود بعد أن أنزل اللّٰه بهم الهلاك: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}. إذ في الآية الأخيرة نفي استفهامي، لبقاء أحد من قوم ثمود وعاد على قيد الحياة.

٢. العرب العاربة: وهم العرب المنحدرون من صلب، يَعرُب بن يشجب بن قحطان، ويسمون بالعرب القحطانية، وهم عرب الجنوب في اليمن.

٣. العرب المستعربة: وهم العرب المنحدرون من صلب إسماعيل ﴿عليه السلام﴾، ويسمون بالعرب العدنانية، نسبة إلى عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل وإبراهيم (عليهما السلام)، أي الذين دخل عليهم دم غير عربي؛ فحدث إندماج بين هذا الدم وبين العرب، وأصبحت اللغة العربية لغتهم الجديدة وهي لسان مزيج، وهؤلاء هم عرب الشمال، موطنهم الأصلي مكة، وهم من ذرية إسماعيل ﴿عليه السلام﴾، وأبناؤه، والجراهمة الذين تعلم منهم إسماعيل ﴿عليه السلام﴾ العربية، وصاهرهم، ونشأ أولاده عرباً مثلهم، ومن أبرز ذرية إسماعيل عدنان جد النبي ﴿ﷺ﴾ الأعلى.

فيما يأتي بصورة مختصرة، سلسلة النسب النبوي، من جهتي الأب والأم، التي تنتهي بعدنان:

١. محمد ﴿ﷺ﴾: والده: عبد اللّٰه بن عبد المطلب بن هاشم.
والدته: آمنة بنت وهب بن زُهرة القريشية.

٢. عبد اللّٰه: والده: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.
والدته: فاطمة بنت عمرو بن مخزوم القريشية.

٣. عبد المطلب: والده: هاشم بن عبد مناف بن قصي.
والدته: سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية اليثربية.

٤. هاشم: والده: عبد مناف بن قصي بن كلاب.
والدته: عاتكة بنت مُرة السلمية.

٥.عبد مناف: والده: قصي بن كلاب بن مُرة:
والدته: حُبى بنت حُليل الخزاعية.
٦.قصي: والده: كلاب بن مُرة بن كعب.
والدته: فاطمة بنت سعد، وهي يمنية من أزد شنوءة.
٧.كلاب: والده: مُرة بن كعب بن لؤي.
والدته: هند بنت سرير من بني فهر بن مالك.
٨.مُرة: والده: كعب بن لؤي بن غالب.
والدته: وحشية بنت شيبان من بني فهر.
٩.كعب: والده: لؤي بن غالب بن فهر.
والدته: أم كعب ماوية بنت كعب من قضاعة.
١٠. لؤي: والده: غالب بن فهر بن مالك.
والدته: أو لؤي سلمى بنت عمرو الخزاعي.
١١. غالب: والده: فهر بن مالك بن النضر.
والدته: أم غالب ليلى بنت سعد من هُذيل.
١٢. فهر: والده: مالك بن النضر بن كنانة.
والدته: جندلة بنت الحارث من جرهم.
١٣. مالك: والده: النضر بن كنانة بن خُزَيمة.
والدته: عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان.
١٤. النضر: والده: كنانة بن خُزَيمة بن مُدركة.
والدته: بَرة بنت مُر بن أد.
١٥. كنانة: والده: خُزيمة بن مدركة بن إلياس.
والدته: عَوانة بنت سعد بن قيس عيلان.
١٦. خُزيمة: والده: مُدركة بن إلياس بن مُضر.
والدته: سلمى بنت أسلم من قُضاعة.
١٧. مُدركة: والده: إلياس بن مُضر بن نزار.
والدته: خِندَف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة.
١٨. إلياس: والده: مُضر بن نزار بن معد.
والدته: الرباب بنت جندة بن معد.
١٩. مُضر: والده: نزار بن معد بن عدنان.
والدته: سَودة بنت عك.
٢٠. نزار: والده: معد بن عدنان.
والدته: مُعانة بنت جوشم من جُرهم.
٢١. معد: والده: عدنان.

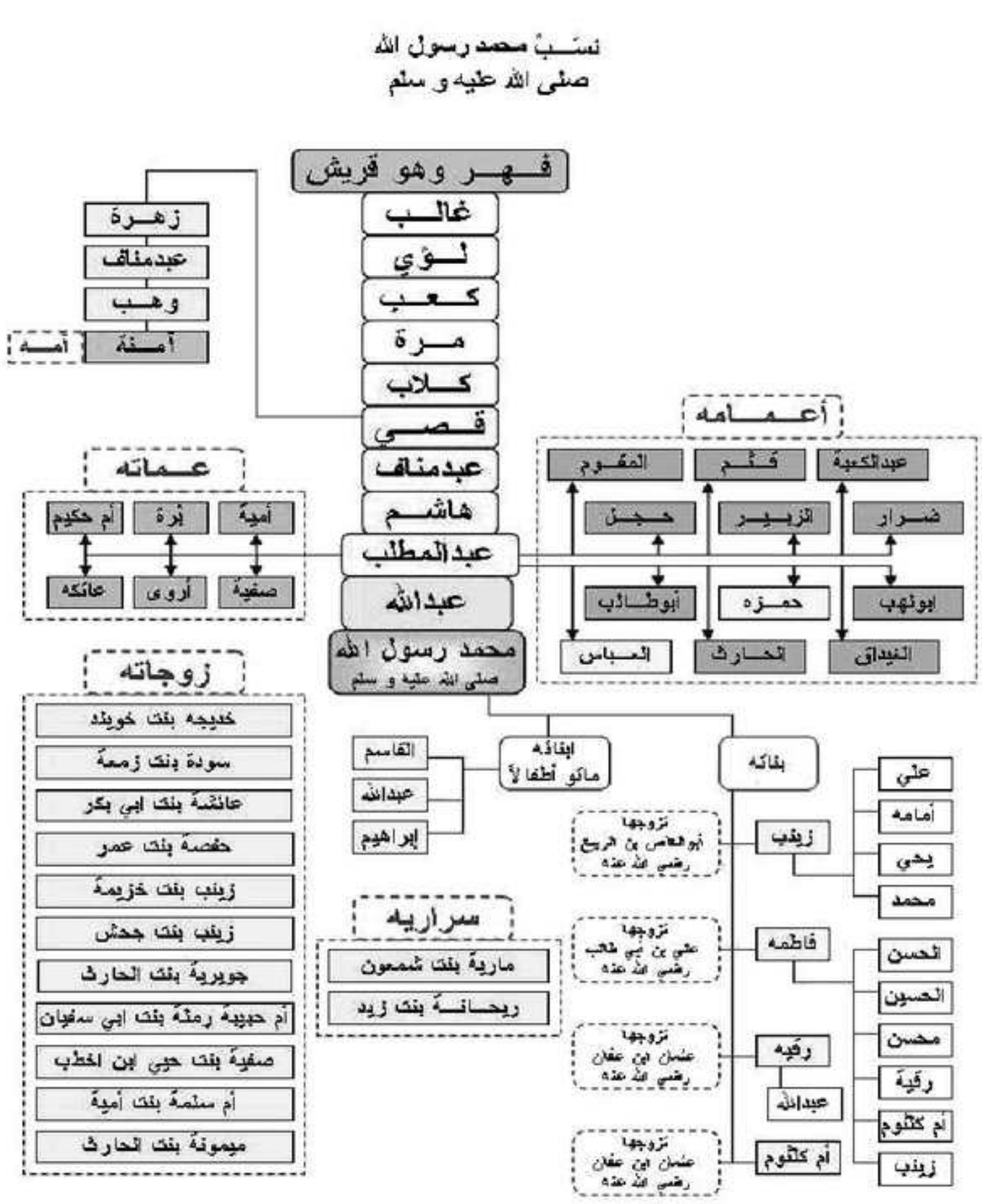

هذه هي سلسلة النسب المتفق عل صحتها، من علماء الحديث والتاريخ، أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق.

غاية الأمر هي الإجماع على انتساب الرسول ﷺ، إلى إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، أبي العرب المستعربة كما اشرنا، وهو نسب شريف من آباء طاهرون وأمهات طاهرات، لم يزل ﷺ ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء، حتى اختاره اللّٰه هادياً مهدياً من أشرف وأوسط العرب نسباً، فهو من صميم قريش، التي لها القدم الأولى في الشرف، وعلو المكانة بين العرب، ولا تجد في سلسلة آبائه إلا كراما، ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة، وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأناً، ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة، وكُل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً، بحسب الأصول العربية، ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية، بل طهره اللّٰه من ذلك، والحمد للّٰه رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

١. ابن هشام، السيرة النبوية.
٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى.
٣. البلاذري، أنساب الأشراف.
٤. الطبري، تاريخ الرسل والملوك.
٥. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد.
٦. الأزرقي، أخبار مكة.
٧. البخاري، صحيح البخاري.
٨. ابن حزم، جمهرة النسب.
٩. مصعب الزبيري، نسب قريش.
١٠. ابن كثير، البداية واالنهاية.
١١. هاشم الملاح، الوسيط في السيرة.
١٢. صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم.
١٣. الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.
١٤. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب.
١٥. أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة.
١٦. محمد حسين هيكل، حياة محمد.
١٧. علي محمد الصلابي، السيرة النبوية.
١٨. محمد رضا، محمد (ﷺ).
١٩. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب.